شَرْحُ حَدِيثِ التَّهْلِيلِ

تأليف الإمَام
أبي عَبْدِ الله مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ السَّنُوسِيِّ
(ت895هـ)

باعتناء
نزار حمادي

دار الإمام ابن عرفة
تونس

شَرْحُ حَدِيثِ التَّهْلِيلِ

الكتاب: شرح حديث التهليل

المؤلِّف : الإمامُ أبو عَبْدِ الله مُحَمَّدُ بْنُ يوسف السنوسي (ت٨٩٥هـ)

المعتني به: نزار حَمَّادي

الناشر: دار الإمام ابنِ عَرَفة

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

شَرْحُ

حَدِيثِ التَّهْلِيل

تأليف الإمَامِ

أبي عَبْدِ الله مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ السَّنُوسِيِّ

(ت٨٩٥هـ)

باعتناء

نزار حمادي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا

قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ العَالِمُ العَامِلُ زَوَّدَهُ اللَّهُ بِالتَّقْوَى وَنَجَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَكُلَّ مَنْ أَحَبَّهُ مِنْ كُلِّ مِحْنَةٍ فِي الدَّارَيْنِ وَبَلْوَى، عُبَيْدُ اللَّهِ تَعَالَى مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ السَّنُوسِيُّ الحَسَنِيُّ

قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ كُلَّ دَعْوَى

الحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ.

رَوَى البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ بِسَنَدَيْهِمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عِدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنْ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِي، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ**

أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»[1].

وَرَوَى مُسْلِمٌ أَيْضًا بِسَنَدِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْر مِرَّات كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَعِيلَ»**[2].

قُلْتُ: وَهَذَا الذِّكْرُ عَظِيمُ القَدْرِ، فَيَنْبَغِي لِكُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُ وِرْدًا لِنَفْسِهِ كُلَّ يَوْمٍ، وَأَقَلُّهُ أَنْ يَذْكُرَهُ مائَةَ مَرَّةٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَفِيهِ تِجَارَةٌ عَظِيمَةٌ لِيَوْمِ فَاقَتِهِ.

وَلْيُحْضِرْ بَالَهُ لِمَا احْتَوَى عَلَيْهِ هَذَا الذِّكْرُ مِنْ مَعَانِي التَّوْحِيدِ، فَإِنَّهُ قَدِ ٱشْتَمَلَ عَلَى عَقَائِدِ التَّوْحِيدِ كُلِّهَا بِبَرَاهِينِهَا، وَأَقَلُّ مَا يَسْتَحْضِرُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ ذَكَرَ

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ في النداء للصلاة، باب ما جاء في ذكر الله تبارك وتعالى؛ والبخاري في بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده؛ وفي الدعوات، باب فضل التهليل؛ ومسلم في الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

(٢) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

أَوَّلاً وُجُوهَ الوَحْدَانِيَّةِ الثَّلاَثَةِ، وَهِيَ وَحْدَانِيَّةُ الذَّاتِ، وَوَحْدَانِيَّةُ الصِّفَاتِ، وَوَحْدَانِيَّةُ الأَفْعَالِ، ثُمَّ ذَكَرَ بَرَاهِينَهَا عَلَى طَرِيقِ اللَّفِّ وَالنَّشْرِ المُرَتَّبِ والمَعْكُوسِ[٣].

أَمَّا عَلَى الأَوَّلِ ـ وَهُوَ اللَّفُّ وَالنَّشْرُ المُرَتَّبُ، فَتَقُولُ: «**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ**» إِشَارَةٌ إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الذَّاتِ، أَيْ: لاَ مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلاَّ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ؛ إِذْ لاَ ذَاتَ تُمَاثِلُ ذَاتَهُ العَلِيَّةِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ ذَاتَهُ العَلِيَّةَ وَاحِدَةٌ وَلَيْسَ مَعَهَا ثَانٍ يُسَاوِيهَا فِي حَقِيقَتِهَا: قَوْلُهُ: «**لَهُ المُلْكُ**»، أَيْ: لَهُ التَّدْبِيرُ التَّامُّ فِي العَالَمِ، وَجَمِيعُ المُمْكِنَاتِ مُنْقَادَةٌ لَهُ، لاَ يَتَعَاصَى عَلَيْهِ تَعَالَى مِنْهَا شَيْءٌ، يَفْعَلُ فِيهَا مَا يَشَاءُ بِمَحْضِ ٱخْتِيَارِهِ.

فَلَوْ كَانَ ثَمَّ ذَاتٌ مِثْلُ ذَاتِ مَوْلاَنَا العَلِيِّ لوَجَبَ أَنْ

---

(٣) اللَّفُّ وَالنَّشْرُ عند البيانيين: هو ذِكْرُ مُتعَدِّدٍ على وَجْهِ التَّفصِيل والتنصِيصِ علَى كُلٍّ، ثُمَّ ذِكْرُ مَا لِكلٍّ من الـمُتعَدِّد على الترتيب، الأَوَّلُ للأَوَّلِ، والثاني للثاني، من غير تعيينِ ما لكُلٍّ؛ للاتكال على ردّ السامع ما ذُكِرَ في النشر لِمَا ذُكِرَ في اللَّفِّ بالمناسبة المعنوية، وهو ينقسم إلى مرتب ومعكوس.

يَكُونَ لِتِلْكَ الذَّاتِ مِنَ المُلْكِ وَالتَّدْبِيرِ التَّامِّ مَا وَجَبَ لِمَوْلاَنَا جَلَّ وَعَزَّ، فَلاَ يَكُونُ إِذًا المُلْكُ لِمَوْلاَنَا وَحْدَهُ، بَلْ يُشَارِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ وَيُضَادُّهُ، وَذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى فَسَادِ نِظَامِ العَالَمِ وَٱخْتِلاَلِهِ، وَعَدَمِ تَمَكُّنِ البَارِي - جَلَّ وَعَزَّ - مِنْ إِيجَادِ مُمْكِنٍ مِنَ المُمْكِنَاتِ؛ لِأَنَّ فَرْضَ إِلَهٍ آخَرَ مَعَهُ يَسْتَلْزِمُ عَجْزَهَمَا مَعًا، ٱتَّفَقَا أَوِ اخْتَلَفَا؛ لِأَنَّهُ لاَبُدَّ مِنْ عَجْزِ أَحَدِهِمَا حِينَئِذٍ، وَهُوَ يَسْتَلْزِمُ عَجْزَ الآخَرِ؛ لِتَمَاثُلِهِمَا.

وَمُشَاهَدَةُ مُلْكِ مَوْلاَنَا - جَلَّ وَعَزَّ - وَتَدْبِيرِهِ التَّامِّ وَتَصَرُّفِهِ العَامِّ - بِحَيْثُ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَى وَلاَ رَادَّ لِمَا قَضَى - يَدُلُّ قَطْعًا عَلَى أَن لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُو جَلَّ وَعَزَّ.

فَالمَعْنَى عَلَى هَذَا أَنَّهُ يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَدَلِيلُهُ: أَنَّ لَهُ المُلْكَ، أَيْ: التَّصَرُّفَ التَّامَّ بِغَيْرِ عَجْزٍ، يَعْنِي أَنَّ التَّصَرُّفَ التَّامَّ لاَ يَكُونُ إِلاَّ لِمَنْ لَمْ يَتَّصِفْ بِالعَجْزِ، وَذَلِكَ لاَ يَكُونُ إِلاَّ لِمَنْ لاَ مِثْلَ لَهُ يُعَانِدُهُ أَوْ يُضَادُّهُ.

قَوْلُهُ: «**لَهُ المُلْكُ**» فِي هَذَا الذِّكْرِ يَرْجِعُ لِـ«**لاَ إِلَهَ إِلاَّ**

اللّٰهُ»، وَإِنَّمَا قَالَ «**لَهُ المُلْكُ**» بِضَمِّ المِيمِ، وَلَمْ يَقُلْ: «لَهُ المِلْكُ» بِكَسْرِهَا؛ لِأَنَّ المِلْكَ ـ بِكَسْرِ المِيمِ ـ لاَ يَسْتَلْزِمُ التَّصَرُّفَ وَنَفْيَ العَجْزِ، فَلاَ دَلاَلَةَ فِيهِ عَلَى نَفْيِ الضِّدِّ؛ أَلاَ تَرَى أَنَّ الصَّبِيَّ الصَّغِيرَ وَالسَّفِيهَ المَحْجُورَ عَلَيْهِ وَالمَغْصُوبَ يَمْلِكُونَ وَلاَ يَتَمَكَّنُونَ مِنْ التَّصَرُّفِ فِي مِلْكِهِمْ أَصْلاً ؟!.

هَذَا مَا يَلِيقِ بِوَحْدَانِيَّةِ الذَّاتِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي الذِّكْرِ: «وَحْدَهُ» فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الصِّفَاتِ، أَيْ: لَيْسَ ثَمَّ مَنْ يَتَّصِفُ بِصِفَةٍ تُمَاثِلُ صِفَةَ مَوْلاَنَا جَلَّ وَعَزَّ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: «وَلَهُ الحَمْدُ»، أَيْ: لِأَنَّ مَوْلاَنَا جَلَّ وَعَزَّ يَجِبُ لَهُ الثَّنَاءُ الكَامِلُ الَّذِي لاَ يَشُوبُهُ نَقْصٌ أَلْبَتَّةَ وَلاَ تَغْيِيرٌ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ ـ جَلَّ وَعَزَّ ـ نَاقِصٌ، عَدَمٌ مِنْ حَيْثُ ذَاتُهُ، إِلاَّ أَنْ يَتَفَضَّلَ مَوْلاَنَا جَلَّ وَعَزَّ عَلَيْهِ بِمَا يَشَاءُ، فَالحَمْدُ المُطْلَقُ هُوَ الثَّنَاءُ بِكُلِّ كَمالٍ لَيْسَ إِلَّا لِمَوْلَانَا جَلَّ وَعَزَّ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي الذِّكْرِ: «**لاَ شَرِيكَ لَهُ**»، فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الأَفْعَالِ، أَيْ: لَيْسَ مَعَهُ تَعَالَى مَنْ يُؤَثِّرُ فِي العَالَمِ فِي أَثَرٍ مَّا، بَلْ هُوَ جَلَّ وَعَزَّ المُنْفَرِدُ بِاخْتِرَاعِ جَمِيعِ الكَائِنَاتِ بَدْءًا، بِغَيْرِ آلَةٍ وَلاَ اسْتِعَانَةٍ بِوَاسِطَةٍ أَصْلاً.

وَدَلِيلُ ذَلِكَ كَوْنُهُ تَعَالَى «**عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»، أَيْ: لَوْ كَانَ لِغَيْرِهِ ـ جَلَّ وَعَزَّ ـ تَأْثِيرٌ مَا وَلَوْ قَلَّ لَخَرَجَ ذَلِكَ الأَثَرُ عَنْ قُدْرَةِ مَوْلاَنَا جَلَّ وَعَزَّ، فَيَلْزَمُ أَن لَّا يَكُونَ قَادِرًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَإِذَا عَجزَ عَن البَعْضِ ـ وَلَوْ قَلَّ ـ وَجَبَ أَنْ يَعْجِزَ عَنِ الجَمِيعِ؛ إِذْ لاَ فَرْقَ بَيْنَ المُمكِنَاتِ كُلِّهَا.

هَذَا كُلُّهُ عَلَى اللَّفِّ وَالنَّشْرِ المُرَتَّبِ، وَإِذَا جَعَلْتَهُ عَلَى اللَّفِّ وَالنَّشْرِ المَعْكُوسِ، تَرُدُّ قَوْلَهُ: «**لَهُ المُلْكُ**» إِلَى قَوْلِهِ: «**لاَ شَرِيكَ لَهُ**»، أَيْ: لَوْ كَانَ لَهُ شَرِيكٌ فِي فِعْلٍ مِنَ الأَفْعَالِ ـ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الشَّرِيكُ إِلَهًا ـ لَزِمَ أَن لَّا يَتَفَرَّدَ تَعَالَى بِالمُلْكِ، كَيْفَ وَهُوَ مَالِكُ المُلْكِ يُدَبِّرُهُ كَيْفَ شَاءَ مِنْ غَيْرِ مُعَارِضٍ؟!.

وَتَرُدُّ قَوْلَهُ: «**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» إِلَى قَوْلِهِ: «**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ**»، أَيْ: لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَهٌ آخَرُ يُمَاثِلُ ذَاتَهُ العَلِيَّةَ لَلَزِمَ - لِأَجْلِ تَمَانُعِهِمَا وَتَضَادِّهِمَا ٱتِّفَاقًا أَوِ ٱخْتِلاَفًا - أَنْ يَعْجِزَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَكَيْفَ يَصِحُّ العَجْزُ فِي حَقِّ مَوْلاَنَا «**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»؟! لِأَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ بِالبُرْهَانِ اخْتِرَاعُهُ لِلْعَالَمِ وَاقْتِدَارُهُ عَلَيْهِ، فَلَزِمَ اقْتِدَارُهُ عَلَى كُلِّ مُمْكِنٍ لِعَدَمِ الفَرْقِ بَيْنَهُمَا.

وَيَخْرُجُ لَكَ مِنْ مَضْمُونِ هَذَا الذِّكْرِ الشَّرِيفِ حُدُوثُ العَالَمِ وَكُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى؛ إِذْ هُوَ كُلُّهُ مِلْكٌ لِمَوْلاَنَا وَمَحَلٌّ لِتَدْبِيرِهِ وَتَصْرِيفِهِ كَيْفَ شَاءَ، وَلَوْ كَانَ قَدِيمًا لَمَا قَبِلَ أَنْ يُتَصَرَّفَ فِيهِ بِشَيْءٍ؛ لِأَنَّ القَدِيمَ لاَ يَتَغَيَّرُ، فَلاَ يَقْبَلُ أَنْ يُتَصَرَّفَ فِيهِ، وَمِنْ هُنَا تَفْهَمُ مِنْ هَذَا الذِّكْرِ بُرْهَانَ حُدُوثِهِ؛ لِتَغَيُّرِهِ بِتَدْبِيرِ مَوْلاَنَا لَهُ كَيْفَ شَاءَ، فَهُوَ إِذًا لاَ يَنْفَكُّ عَنِ التَّغَيُّرَاتِ، وَمَا لاَزَمَ التَّغَيُّرَاتِ فَهُوَ حَادِثٌ ضَرُورَةً.

وَأَمَّا مَعْرِفَةُ صِفَاتِ مَوْلاَنَا مِنْ هَذَا الذِّكْرِ فَظَاهِرَةٌ؛ أَمَّا

قِدَمُهُ وَبَقَاؤُهُ، فَإِنَّهُ لَوْ قَبِلَ العَدَمَ لَلَزِمَ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى مَنْ يَخْتَرِعُهُ، فَيَلْزَمُ أَنْ لاَ يَكُونَ لَهُ المُلْكُ، وَلاَ يَكُونَ لَهُ الحَمْدُ وَحْدَهُ، بَلْ مُحْدِثُهُ حِينَئِذٍ يَكُونُ أَحَقَّ مِنْهُ بِالمُلْكِ وَبِالحَمْدِ.

وَأَمَّا مُخَالَفَتُهُ تَعَالَى لِلْحَوَادِثِ، فَلِأَنَّهُ لَوْ مَاثَلَ شَيْئًا مِنْهَا لَلَزِمَ أَنْ لاَ يَنْفَرِدَ عَنْ مِثْلِهِ بِمُلْكٍ وَلاَ حَمْدٍ وَلاَ قُدْرَةٍ.

وَأَمَّا كَوْنُهُ قَادِرًا عَالِمًا مُرِيدًا حَيًّا فَظَاهِرٌ؛ إِذْ لَوْ انْتَفَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ أَوْ وَاحِدَةٌ مِنْهَا لَمْ يُوجِدْ شَيْئًا مِنَ العَالَمِ.

وَأَمَّا كَوْنُهُ سَمِيعًا بَصِيرًا مُتَكَلِّمًا فَلِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ كَمَالٌ، وَأَضْدَادَهَا نَقْصٌ، وَهُوَ تَعَالَى الـمُنَزَّهُ عَنْ جَمِيعِ النَّقَائِصِ، وَلَهُ الحَمْدُ وَالثَّنَاءُ بِكُلِّ كَمَالٍ، فَقَوْلُهُ فِي الذِّكْرِ «**لَهُ الحَمْدُ**» يَدُلُّ عَلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ الثَّلاَثِ.

وَأَمَّا ثُبُوتُ رِسَالَةِ الرُّسُلِ ـ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـ فَتُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ: «**لَهُ المُلْكُ**» أَيْ: التَّصَرُّفُ التَّامُّ، وَمِنَ المَعْلُومِ أَنَّ مِنْ شَأْنِ المَلِكِ تَرَدُّدُ عَبِيدِهِ بَيْنَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَلَـمَّا أَدْرَكْنَا بِالضَّرُورَةِ عَدَمَ سَمَاعِنَا أَمْرَ مَوْلاَنَا وَنَهْيَهُ بِغَيْرِ

وَاسِطَةٍ، افْتَقَرْنَا إِلَى مَعْرِفَةِ الوَاسِطَةِ وَهِيَ الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَبَحَثْنَا عَلَى عَلاَمَةِ صِدْقِهِمْ فَأَدْرَكْنَاهَا بِمَا سَبَقَ بَيَانُهُ فِي أَصْلِ العَقِيدَةِ.

وَلاَ يَخْفَى عَلَى اللَّبِيبِ اسْتِخْرَاجُ سَائِرِ جُزْئِيَّاتِ العَقَائِدِ مِنْ هَذَا الذِّكْرِ، وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَى مَبَادِئِ ذَلِكَ، وَبِاللهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ، لاَ رَبَّ غَيْرُهُ وَلاَ مَعْبُودَ سِوَاهُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.




دار الإمام ابن عرفة
تونس